

أقاصيص هانس أندرسن

بقلم: الأستاذ على أدهم

للشدائد أو يستكينون للظروف القاسية في سبيل الاخلاص لمواهبهم هم رواد الانسانية في طريق التقدم ، وقد كان من هؤلاء بحق الكاتب الشاعر الدانماركي هانس كريستيان أندرسن مؤلف أقاصيص الأطفال الذائعة الذكر في الأدب الغربي، والتي ترجمت الى معظم لغات العالم ومنها (١) اللغة العربية ، وقد تناول هانس أندرسن موضوع قصص الأطفال بأسلوب غير مسجوق يجمع بين الشاعرية والبساطة والوضوح ، وقد استطاع بما أوتي من عبقرية وصفاء نفس وطيبة قلب أن يتغلغل الى عالم الأطفال ، ويحسن فهم حوافزهم النفسية ، ووثبات خيالهم ، وطرائق تفكيرهم ، كما استطاع بخياله العاطف الملبي المرح أن يحول لعب الأطفال وبعض الأدوات المنزلية المألوفة الى

مما يعود على الانسانية بالخير ، ويجدى على حركة التقدم ، أن يجمع الرجل العبقري بين العبقرية والسجاعة فيعقد العزم على أن يسير في الحياة حسب وحى استعداده ، ويلبى نداء مواهبه وقدراته ، وقد يعرضه ذلك للكثير من الشائد وعثرات سوء الحظ وخيبة الأمل ، ولكنه يمضى في طريقه قدما ، واثقا من أن استجابته للهاتف النفسى الداخلى هو الطريق المفضى الى النجاح وتحقيق الذات مهما تقم في طريقه العقبات، وتكثر الموانع والحوائل ، ويروى عن الكاتب الصحفى الفرنسى ارمان كاريل أنه في مطلع حياته الصحفية قدم مقالا لرئيس تحرير احدى الجرائد التى عمل بها ، فقال له رئيس التحرير بعد الاطلاع على المقال « ان الناس لا يكتبون هكذا » فرد عليه كاريل قائلا « انى لا أكتب كما يكتب الناس وانما أكتب حسب ماتملى على طبيعتى » وهذه سمة الأصالة الحققة وعلامة الموهبة المطبوعة ، وهؤلاء الذين يجمعون بين الموهبة الصادقة ، ولا يهنون

(١) قام الاستاذ الاديب الكاتب القدير محمود ابراهيم الدسوقي بترجمة مجموعة صالحة من أقاصيص أندرسن الى اللغة العربية ترجمة ممتازة بالدقة ومناة الاسلوب وبلاغته ، وقد قامت بطبعها لجنة التأليف والترجمة والنشر ضمن مجموعة « عيون الادب الغربى ».

مخلوقات حية طبيعية وفوق الطبيعية ، ويخرج منها ناسا عاديين وأبطالا ممتازين يأتون بالخوارق وبواسق الأعمال ، وأضفى حياة كحياة البشر على الأزهار الناضرة والأشجار الفارعة والنسمات الهافية والرياح العاصفة والأضوء والظلال وقطرات الماء .

وقد ولد أندرسن في ٢ ابريل سنة ١٨٠٥ باودينز في جزيرة فينين ، وكان سكانها في أوائل القرن التاسع عشر لا يتجاوزون خمسة آلاف نسمة ، ولكنها مع ذلك كانت ثمانية المدن الكبيرة بالدانيمارك، وكانت شوارعها الهامة تمتاز بالجمال وفخامة المباني القائمة بها، أما الأزقة المظلمة فكانت مملوءة بالأكوخ نصف الخشبية ، ويقيم بها السكان الفقراء الذين يحاولون بصعوبة أن يحصلوا على القوت وسائر مستلزمات الحياة، وكان والده اسكافيا في الخامسة والعشرين من عمره وأمه في الأربعين من عمرها حين مولده ، ولم يكن أبوه قانعا بمهنته راضيا عنها ، فكد كان يود لو أنه قد ذهب في صغره الى المدرسة وتلقى نصيبا من العلم يؤهله لعمل أجل من صناعة الأحذية واصلاحها ، ولذلك لم يكن يخالط زملاءه في المهنة ، وفي الصيف كان يرتاد الغابات في أيام الأحد ويتتجى ركنها هادئا ، ويقرا لابنه خرافات لافوتتين وبعض روايات شيكسبير وقصصا من ألف ليلة وليلة ، ويصنع له بعض الدمى ليلعب بها ، وكان القلق والتبرم بالحياة والميل الى الاسترسال في الأحلام هي السمات الغالبة على أخلاقه ، وفي سنة ١٨١٢ حملته تحمسه لنابليون - كما يروى ابنه - على أن يتطوع جنديا في جيشه ، ومن المحتمل أن يكون قد أمل تحسين أحواله المالية من وراء ذلك ، ومهما يكن من الأمر فانه قد عاد الى أسرته في سنة

١٨١٤ مريضا محطما ، ومات بعد ذلك بعامين وكان هانس حين مات أبوه في الحادية عشرة من عمره . أما والدته فكانت كما - وصفها لنا - امرأة ضخمة قوية البنية تقوم بغسل الملابس ، وقد تأثر أبوه بالنزعة العقلية التي سادت في عصره ، وغلبت على والدته نزعة الاعتقاد بالخرافات والميل الى التصوف ، وكانت مع ذلك امرأة عملية تحسن فهم شؤون الحياة على خلاف زوجها الحالم ، ويقول هانس كريستيان عن نفسه « انه كان طفلا حالمًا غريب الأطوار ، وانه كان حينما يمشى في الطرقات يغمض عينيه ، ولذلك كانت الناس تظن انه مصاب في عينيه على حين ان عينيه كانتا حادتين سليمتين » ، وكان يروقه أن يجلس تحت ظلال الأشجار ويتأمل أوراقها ويسترسل في الأحلام ، وقد أشار في مذكراته الى الدور الذي لعبه الاستماع الى الخرافات والأساطير في تطوره ، وكان في طفولته يزور مع جدته لأمه مستشفى لايواء الفقراء والعجزة والمصابين بالأمراض العقلية ، وتركت المناظر التي كان يراها بالمستشفى أثاراها في نفسه ، ولم يتأثر هانس كثيرا بالأحداث السياسية التي حدثت في مطالع حياته ، وبرغم ذلك فان الانهيار الاقتصادي الذي أصاب ان الدانيمارك في سنة ١٨١٢/١٨١٣ من جراء اشتباكها في الحرب مع انجلترا شعر به الفقراء والأغنياء على السواء ، وقد تلقى أول تعليم عند سيدة مدرسة عجوز ، وانتقل بعد ذلك الى مدرسة للصبيبة يديرها السيد كارستن ، وبعد قضاء فترة في هذه المدرسة ذهب الى إحدى المدارس الخيرية ، وكان من مدرسيها السيد ولهافن الذي كان له شيء من الأهمية في حياة هانس أندرسن ولكن طبيعة هذا الصبي العجيبة كانت تجعله يضيق ذرعا بالمدرسة ، وكان يجد صعوبة في مخالطة

وكان لابد له من أن يتخذ خطوة حاسمة نحو تقرير مستقبله ، فرأى أنه لابد له من الذهاب الى كوبنهاجن ليظفر بالشهرة ويصبح علما من الأعلام.

وفي اليوم الأول من سبتمبر سنة ١٨١٩ ودع والدته وجدته لأمه وبدأ رحلته في الطريق المجهول، ولم يكن يحمل في جيبه سوى القليل من المال ، ولم يكن يعرف أحدا في المدينة الكبيرة التي قصدتها أو يدري عن أحوالها شيئا، وكان زاده الفكري مجموعة من الذكريات كانت المادة التي اعتمد عليها بعد ذلك في كتاباته ، وكان الكثير مما كتبه مستقى من تجارب طفولته وذكريات نشأته .

وقد مكث في كوبنهاجن من سنة ١٨١٩ الى سنة ١٨٢٢ وقد جاهد جهادا شديدا حتى لا يضطر الى العودة الى أودنس ، ولم تستطع المثبطات التي لقيها أن تنال من ارادته أو تشنى عزيمته ، وكان قبل مبارحته أودنس قد حمل رسالة من السيد ايفرش - أحد محرري الصحف في أودنس - الى مدام شال راقصة البالية في المسرح الملكي ، فزارها في دارها ، ولم تستطع أن تتذكر اسم المحرر كاتب الرسالة ، فذكر لها هانس أنه يود أن يلتحق بالمسرح وأراد أن يطلعها على نوع من كفايته الفنية ، فشرع في الرقص واتخذ من قبعته دفا، ودهشت السيدة من هذا السلوك العجيب وغلب على ظنها أنه مفلت من مستشفى المجاذيب ، وسرعان ماتخاضت منه ولم يمنعه ذلك من الذهاب الى مدير المسرح الملكي ولكنه لم يقبل بطبيعة الحال ، ونفذ المال القليل الذي معه بعد أن أمضى أسبوعين في المدينة ، وكان لابد له من الاختيار بين العودة الى بلده أو أن يعمل صبيا في إحدى الحرف ، وفي يوم ١٨ سبتمبر اطلع على اعلان من أحد النجارين يبدى استعدادا لقبول مساعدين له ، فذهب اليه ، ولكنه

آترا به من الصبية ، وكان مضطرا الى العمل في أحد المصانع لمساعدة والدته ، ولكنه لم يستمر به طويلا ، فقد كانت طبيعته الشديدة الحساسية تجعله لا يحتمل غلظة عمال المصنع وسماع ما يصدر عنهم من الألفاظ النابية ، ولذلك كانت أسعد أوقاته هي الأوقات التي يقضيها في داره حيث يستطيع اللعب بالدمى التي صنعها له والده .

وزاد اهتمامه بالمسرح حينما ذهب مع والده ووالدته لحضور تمثيل إحدى الروايات المسرحية بمسرح أودنس ، والظاهر أنه كان في هذا الصبي شيء يجتذب النظر ، ففي كل مرحلة من مراحل حياته كان يجد من يعطفون عليه ، ويعملون على تشجيعه من بعض ذوى النفوذ والسيطرة في المجتمع الذي عاش فيه ، وقد استخلصت والدته من اهتمامه بعمل ملابس للدمى التي كان يلعب بها أنه قد رزق استعدادا ليكون خياطا ، ولكنه كان يشعر بأنه سيشق طريقه الى الحياة في المسرح ، وقد عنى بأمره الكولونيل جلد برح ، وساعده على المشول بين يدي أحد الأمراء في قلعته ، وأشار عليه أن يلتبس من الأمير مساعدته في الالتحاق بإحدى المدارس الأولية ، ولكن الأمير نصحه بأن يتعلم إحدى الحرف الناجحة ، فعمل عند أحد الصيادلة ، واسترعى الأسماع حسن القائه ، وهي موهبة ظلت ملازمة له طوال حياته .

ولقد كان هذا الفتى الحالم يحاول الخروج من البيئة الوضيعة التي نشأ بها ، وكان يعتقد اعتقاد الأكفء له أن العناية الالهية ستعنى بأمره وتساعد، وكان لهذا الاعتقاد المتمكن من نفسه أثر واضح في تغلبه على الصعاب التي صادفته ، وقد سمع وهو في دار أحد أعيان المدينة أن للشعراء شأنا ورأى لمحات مما يعده به المستقبل عن طريق المسرح

الشعر فى أودنس ، وكتب بعض المآسى ، وقدم
أحداها للمسرح الملكى فى ١٩ مارس سنة ١٨٢٢
ولكنها رفضت بحجة أنها غير صالحة للتمثيل ،
ولاحظت إدارة المسرح أن كاتب المأساة ينقصه
الدراسة والالمام بأدب المسرح بوجه خاص .

وكانت الصعوبة التى واجهته فى هذه المرحلة
من حياته هى نقص ثقافته وقلة درايته وحاجته
الماسة الى دراسة اللغة وفن الكتابة ، وحاول
المعجبون به أن يعلموه القليل من اللغة الدانيماركية
واللغة الألمانية واللغة اللاتينية ، ولكنه كانت تنقصه
المثابرة والتوفر على متابعة الدراسة ، ورأى أحد
كبار النقاد الدانيماركيين أنه يمكن الاستفادة من
موهبة هانس لو أحسن تعليمه ، وأقنع السيد كولن
أحد المعجبين بهانس على أن يتقدم الى المشرفين
على الجامعة باعطائه منحة دراسية ، وأدخل هانس
مدرسة أولية وهو فى السابعة عشرة من عمره ،
وكان الذى تولى التدريس له السيد ميسلنج ،
وكان معروفا بأنه مدرس قدير ، ولكنه كان عصبى
المزاج حاد اللسان ، وقد جعل هانس هدفا لسخريته
وتأنيبه مما كان له تأثير عميق فى نفس هانس
الحساسة ، وبذل هانس جهدا فى تعلم بعض المواد
الدراسية ، ولكنه كان يجد صعوبة فى دراسة المواد
التي تحتاج الى الكثير من التركيز ، ويقول هانس
ان أيام الدراسة هذه كانت أسوأ أيام حياته ظلما ،
وقد أتم دراسته فى أكتوبر سنة ١٨٢٨ .

وقد نظم قصائد عدة فى أثناء دراسته ، وبعد
اتمام الدراسة نظم بعض القصائد الفكاهية ، وبدأ
يكتب بعض الروايات المسرحية ، ومثلت إحدى
هذه الروايات فى المسرح الملكى ، ولم يكن يعرف
الكثير عن وطنه فاعتزم فى سنة ١٨٣٠ أن ينتقل فى
مختلف أنحاء الدانيمارك ، وفى السنة التالية قام

حينما بدأ يباشر العمل وجد أن زملاءه وسائر
العمال من النوع الفظ الغليظ الذى اضطره الى
الهرب من المصنع فى أودنس ، فلم يتردد فى ترك
العمل فى اليوم نفسه ، وقصد السيد سيونى
كبير المغنين فى المسرح الملكى ، وكان سيونى قد
دعا جماعة من أصدقائه لتناول العشاء فى داره ،
ولكنه سمح لهانس بالمشول فى حضرة ضيوفه من
علية القوم بالمدينة ، وسمح لهانس بأن يعنى ويلقى
بعض الأشعار ، ونجح هانس فى إثارة اهتمام
الحاضرين بأمره ، ووعد سيونى بأن يعلمه الغناء ،
وجمع له مبلغ من النقود يكفيه للمستقبل القريب ،
وهكذا استطاع الغلام البالغ من العمر أربعة عشر
عاما أن يقترب من العالم الذى يود أن يعيش به
بدلا من أن يعود أدراجه الى بلده ويتلقى سخرية
الساخرين .

على أن السنوات التالية كانت حافلة بالتجارب
المررة ، فبعد أن قضى تسعة أشهر فى تعلم الغناء
خذه صوته ، ونصح له سيونى بالعودة الى بلده ،
وأمدته العاطفون عليه بمساعدة مالية ، وتطوع أحد
الممثلين بتدريبه على التمثيل ، وممكنه ذلك من حضور
الكثير من الحفلات التمثيلية حيث كان يرى الممثلين
عن قرب وهم يقومون بتمثيل أدوارهم ، وعمل على
أن ينضم الى فرقة الممثلين الاحتياطيين ، ونجح فى
الظهور على المسرح لأول مرة ، وظهر بعد ذلك
غير مرة فى بعض الأدوار غير الهامة ، وقال له أحد
العارفين بالشؤون المسرحية « انك قوى الشعور
ولكنك لم تخلق ممثلا ، والله أدرى بما خلقت
له » .

وهكذا أدرك أن طريق المسرح ممثلىء بالأشواك
ولكن ذلك لم يفت فى عضده ، فهو يعهد فى نفسه
القدرة على الكتابة ، وقد سبق له أن عالج قرض

حينما تناولها صديقه أدوارد كولن بالنقد الصارم والتجريح الشديد ، وقد لامة صديقه على الإفراط في الكتابة وكثرة الانتاج وصارحه بأنه باتباعه هذه الطريقة يهبط بمستوى مؤلفاته ، وكان هانس ممن يضيقون صدرا بالنقد ، ويجدون صعوبة شديدة في احتماله والصبر عليه ، وقد ألمه هذا النقد بوجه خاص لأنه جاء من صديق لا يشك في نزاهته واخلاصه ، وفي أعقاب النقد الذي وجهه النقاد الدانماركيون الآخرون لمجموعة الشعر التي سبقت ظهور المسرحية ، وعلاوة على ذلك فقد تلقى أخبارا عن وفاة والدته وكانت قد أعدها المرض في السنوات الأخيرة من حياتها ، وقد أشعرته وفاتها أنه أصبح في عزلة أكثر من سائر الناس ، ولكن النقد الذي وجه إليه لم يحمله بحال تلى الشك في مواهبه ، ولم يززع ثقته بنفسه ، وأوحت إليه الرحلة الى إيطاليا تأليف رواية عنوانها « الشاعر المطبوع » وهي تكاد تكون سيرة ذاتية لحياته مرتدية الشوب الايطالى ، والشخصيات الأخرى الواردة بها صيغت على مثال أشخاص لقيهم ودرس طبائعهم ، وقد قال عن هذه الرواية « كل شخصية فيها مستمدة من الحياة ، ولم أبتكر أية شخصية ، فأنا أعرفهم وقد عرفتهم جميعا » .

وأحسن النقاد استقبال هذه الرواية فقال أحدهم انه قد ارتفع الى مستوى لم يبلغه من قبل ، وقال ناقد آخر « لقد أنمى مواهب خياله الثرية بطريقة سارة للغاية » وترجمت الرواية الى اللغة الألمانية وقامت عليها أسس شهرته في أنحاء أوروبا .

وأغراه نجاح هذه الرواية بتأليف رواية أخرى سيكولوجية ظهرت سنة ١٨٣٦ وهي رواية « أوتو ثوستراب » ، ولم يكن هانس من الروائيين الذين يستطيعون التعمق في دراسة الشخصيات التي

برحلة خارج بلاده ، فزار ألمانيا ، وكانت ثمرة هذه الرحلة تأليف كتاب عن المشاهد التي رآها ، ولما عاد الى وطنه قدم للطبع مجموعة من أشعاره ، وقام بعد ذلك برحلة طويلة الى فرنسا وإيطاليا ، وكتب ترجمته الذاتية في كتاب أسماه « كتاب حياتي » قبل أن يبدأ الرحلة فقد خطر بباله أنه ربما تدركه الوفاة في الخارج فتعرف الأجيال التالية حياته وأعماله من هذا الكتاب ، وبعد أن قضى في باريس قرابة ثلاثة أشهر انتقل الى سويسرة وأمضى بها شهرا ، وذهب منها الى روما ومر في طريقه اليها بميلانو وجنوا والبندقية ، ومكث في روما ستة أشهر ، وزار في خلال ذلك نابولي وبومبي وامايفي وكابري ، وعاد الى كوبنهاجن بعد أن عرج في طريقه اليها على فيرارا وبادوا وميونخ وفينا وبراج ودرسدن وبرلين وهمبرج ، وكان في أثناء هذه الرحلة يوافي أصدقاءه بأخبار تنقلاته في رسائله اليهم ، ويصف لهم انطباعاته ، وقد أعجب أيضا اعجاب بمنظر الريف الايطالى فكتب من رسالة الى أحد أصدقائه « لا يمكنك أن تتخيل لعب الألوان وتغير الأشكال الدائم الذي يقدمه لك جنوب إيطاليا ، فحيثما يقبل المساء يصير البحر وردي اللون ، وتبدو لك الجزائر سابحة فيه كالسحب البنفسجية ، وترتدى الجبال حلة ليلية رفيقة وتتدفح الحمم من بركان فيزوف كأنها تيار من الدماء السائلة » وكان يكتب هذه الانطباعات في يومياته ويحتفظ بها « ولم تكن رحلته الى إيطاليا خالية من أسباب الكدر ، فقد ظهرت سنة ١٨٣٣ مجموعة من أشعاره لم تعجب النقاد ، وعمل في أثناء رحلته بهمة في انجاز رواية مسرحية عنوانها « أجنيث وشيخ البحر » واعتقد أن هذه المسرحية ستصادف نجاحا غير مسبوق ، ولذلك كانت خيبة أمله شديدة

يتناولونها فى رواياتهم ، وتدور أحداث الرواية فى أجزاء من الدانيمارك يحسن هانز معرفتها ، وله بها صلات شتى ، وقد كتب الى صديق له يقول عن هذه الرواية « انها تصوير للعصر ما بين سنة ١٨٢٩ و سنة ١٨٣٥ ومجال العمل فيها مقصور على الدانيمارك ، وأظن أن وصف المؤلف للأمكنة التى يعرفها والأشياء التى يعيش بينها سيكون له قيمة ويضفى على الكتاب أهمية خاصة به ، وفى السنين المقبلة سيرى الناس صورة للعصر الحاضر يمكن الاعتماد عليها ، واذا كنت قد نجحت فى ذلك فإن أهمية الكتاب ستزداد بمرور السنين » .

وفى صيف سنة ١٨٣٦ شغل بتأليف رواية أخرى أتمها فى السنة التالية وعنوانها « غازف الكمان » ، وقد وصف فى هذه الرواية الكثير من المتاعب والمشاق التى عرضت له فى حياته .

وفى سنة ١٨٤٤ بدأ تأليف رواية « الباروتان » وأتمها فى سنة ١٨٤٨ ، ويبدو فيها أن المؤلف قد بلغ القمة التى كانت مطمح نفسه ، وأخذ ينظر الى الحياة نظرة هادئة راضية ، وكانت شهرته قد ذاعت ، ومكاته الأدبية قد توطدت ، وثوقت علاقته بالأسرة المالكة فى الدانيمارك التى كانت تستضيفه فى بعض الأوقات ، وأصبح موضع الاجلال والرعاية من الكثيرين من أعيان الدانيمارك فى كل ناحية من نواحي الحياة ، كما كانت له صلات ودية ومراسلات متبادلة مع كثير من الأمراء وكبار الكتاب والشعراء والفنانين من مختلف اندول الاوربية ، وجرى فى تأليف رواية الباروتتين على طريقته فى وصف شخصيات من مختلف المستويات الاجتماعية التى عرفها وخبر أحوالها .

وكان حب المسرح الذى حمله على الهجرة الى كوبنهاجن فى سنة ١٨١٩ لا يزال متمكنا من نفسه ،

وقد نجحت الاوبرا « عروس لامرمور » التى مثلت فى المسرح الملكى سنة ١٨٣٢ ، وألف بعد ذلك اوبرا « الغراب الاسحم » وفى سنة ١٨٣٦ أخرج مسرحية « الوليمة فى كنلورث » ومسرحية « الفرقة واللقاء » ولكنها جميعها لم تكن من الآثار الأدبية الممتازة التى ترفع من قدر شاعريته ، بعد أن نشر روايته الأولى فى سنة ١٨٣٨ شغل نفسه بتأليف مسرحية شعرية عنوانها « الخلاسى » وقدمها للمسرح الملكى سنة ١٨٣٩ وقبلت وحددت لتمثيلها بالمسرح الملكى شهر ديسمبر من السنة نفسها ، واتفق أن مات الملك فردريك ملك الدانيمارك فى اليوم الذى كان محددًا لبدء تمثيلها فأرجىء اخراجها على المسرح الى شهر فبراير من السنة التالية ، وقد رضى عنها النقاد وأثنوا عليها ، وأوحى ذلك الى هانس تأليف مأساة عنوانها « فتاة المغرب » وقد تناولها النقاد الدانماركيون بالنقد الصارم ، ورفضت الممثلة الأولى بالمسرح الملكى القيام بتمثيل الدور الرئيسى فى الرواية ، وآثار ذلك غضب هانز وأحرقه الى أقصى حد ، وقد طبعها وكتب لها مقدمة حمل فيها حملة شديدة على نقاده . ولما مثلت هذه المأساة على المسرح قوبلت بفتور من الجمهور ، ولم يثنه هذا الاخفاق عن معاودة التأليف للمسرح ، ففى سنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٢ أخرج مسرحيات ولقيت مسرحيته الفكاهية « حجرة النفاس الجديدة » نجاحا حقيقيا ومثلت لأول مرة سنة ١٨٤٥ .

وفى أثناء اشتغاله بتأليف رواية « الشاعر المطبوع » كتب الى صديق له من رسالة يقول « لقد بدأت فى تأليف بعض قصص للأطفال ، ولعلك ترى أننى أريد أن أكسب الأجيال القادمة » ، وكان الجزء الأول الذى أصدره يشمل قصة « القداحة » و « كلاوس الصغير وكلاوس الكبير » و « الأميرة

الخفة « ولم يعلق فى بادى الأمر أهمية كبيرة على تأليف هذه القصص ، ولكن أحد العلماء المعاصرين له قال « ان هذه القصص ستجعله من الخالدين » ولم يصدق هانس ذلك فى بادى الأمر ، ولكنه برغم ذلك ودون أن يعرف وجد نفسه فى منطقة هذا النوع من الفن الذى يستطيع فيه أن يكون بارز التفوق منقطع النظير ويظفر بالخلود الذى كان يتطلع اليه ويطمع فيه ، وقد أظهر قدرة وبراعة فى مختلف فنون الأدب التى تصدى للتأليف فيها ، ولكنه فى كتابة الأقاصيص كان السابق المحلى الذى لا يشق له غبار ، وقد اتبع المجموعة الأولى بجزء ثان يشمل قصة « الولد الشرير » و « والرفيق المسافر » وقصصا أخرى ، وظهر الجزء الثالث فى سنة ١٨٣٧ وكان من بين قصصه قصة « بنت البحر الصغير و « ملابس الامبراطور الجديدة » وفى سنة ١٨٣٨ أصدر سلسلة جديدة غنوانها « أقاصيص للأطفال » واشتمل الجزء الذى ظهر على مجموعة من القصص منها قصة « الجندي الصفيح الثابت » و « والأوزات العراقية البرية » وظهر الجزء الثانى سنة ١٨٣٩ وكان به قصة « جنة الفردوس » و « الحقيقة الطائرة » و « قصة » اللقالق ، واتبعه بجزء ثالث سنة ١٨٤١ وكان من قصصه قصة « راعى الخنازير » وقصة « القمح الأسود » وابتداء من سنة ١٨٤٣ أطلق عليها اسم « أقاصيص الجنيات الجديدة » وأضاف الى ذلك « لا تروى للأطفال » وبهذا الحذف الذى له دلالة أخذ يصدر الجزء تلو الجزء حتى بلغ مجموع الاقصوصات التى ظهرت فى أثناء حياته مائة وستا وخمسين أقصوصه ، وقد صدر الجزء الذى احتوى على أقصوصة « بنت البحر الصغيرة بقوله » فى القطر الصغير يكون الشاعر رجلا فقيرا ،

والشرف هو الطائر الذهبى الذى يعمل على اقتناصه بوجه خاص ، وساقوم بمحاولة اقتناصه برواية قصوصات الجنيات .

وقد نقلت الاقصوصات فى ابان ظهورها الى أكثر اللغات الحية ، وأكسبته شهرة واسعة فى مختلف الأقطار ، وقد كان منذ نشأته قد رزق الصفات التى تؤهله لأن يكون كاتب اقصوصات من الطراز الأول ، فقد كان وهو صبي شديد الشعور بما فوق الطبيعة ، وقد نشأ محبا للأساطير والأقصوصات المروية عن القدماء ، وكان ميله الى المسرح من ثمرات هذا الاتجاه النفسى ، ويضاف الى ذلك أنه أوتى القدرة على فهم عقلية الأطفال وكان يستطيع أن يعبر عن نفسه بالأسلوب القريب الى أفهامهم ، وقد وصفه أحد أصدقائه المقربين قائلا « فى كثير من الأوساط التى كان يغشاها كل يوم كان يلقي صغار الأطفال ويشغل نفسه بهم ، ويروى لهم الاقصوصات ، وبعض هذه الاقصوصات كان من وحي الساعة وبحسب ما تلهمه المناسبة ، وبعضها كان مستمدا من أقصوصات الجنيات المعروفة ، ولكن سواء أكانت الاقصوصة من تأليفه أم كانت من منقوله فان الأسلوب الذى كان يتبعه فى روايتها أسلوبه الخاص ، وكان أسلوبا حافلا بالحياة يستهوى الأطفال ، ويستولى عليهم ، وكان هو نفسه كلف بأن يطلق العنان لميله الى الفكاهة ، فلايمسك عن الكلام المصحوب بالحركات المناسبة والاشارات الملائمة ، وكان يبعث الحياة فى أشد العبارات جفافا ، والذين سمعوه وهو يقرأ أقصوصاته عن الجان يستطيعون أن يشعروا بأثر تلك الانطباعات التى كانت تحدثها الطريقة النابضة بالحياة التى كان يلقي بها الاقصوصات على مسامع الأطفال .

وكان هذا الأسلوب حافلا بالحياة لأنه كان يستعمل لغة الحياة اليومية المألوفة العادية ، وقد قيل بحق عنه انه لم يكتسب لغته الأدبية من عصره وانما هو الذى جعل الشعب الدانماركى يتأثر بلغته وهانس يفرق بين أقاصيص الجنيات التى يعيد روايتها بأسلوبه بعد أن قرأها أو سمعها وبين الأقاصيص التى ابتكرها ، وكان الاهتمام بالأقاصيص من خصائص العصر ، وقد جمع الأخوان جريم الألمان مجموعة شائعة من أقصوصات الجنيات والأساطير الشائعة ، وكذلك عالج التأليف فى هذه الناحية الكاتب الألمانى المعروف هوفمان ، وأطلع هانس على ما جمعه الأخوان جريم وما كتبه هوفمان ومن لغة من كتاب الألمان مثل لدفيج نيك وميزيه وغيرهما ، وأسلوب هانس سواء فى رواية أقصوصاته أو فى سر الأقاصيص التى نقلها عن غيره يمتاز بالاقتراب من الواقعية ومجافاة الاسراف فى النزعة الرومانتيكية .

وأدرك هانس أنه قد اهتمدى الى الأسلوب الطبيعى فى رواية الأقاصيص وعرف أن مواهبه ملائمة لهذا النوع من الأدب والفن ، وقد حدثت نقطة التحول هذه حوالى سنة ١٨٤٣ ، قال عن نفسه فى تلك الفترة « انى أروى الآن الأقاصيص بقبضى جميعه وروحى كلها ، فتسرح لى الخاطرة التى تصلح للكبار ثم أروى للصغار الناشئين ، وأنا مقدر أن الأب والأم سيسمعان لذلك ولا بد أن نقدم لهما القليل مما يصلح لأن يجيلا فيه الفكر ، وعندى مادة ضخمة لهذا النوع من الكتابة أكثر مما عندى لأى نوع آخر منها ، وأنه ليبدو لى أن كل سياج أو كل زهرة صغيرة يسألنى ان القى عليه نظرة عابرة وأن هذه النظرة كفيلا بأن تجعلنى أعرف قصته ، وحينما أفعل ذلك تتكون القصة » .

وكان يجد ما يوحى اليه الاقصوصات فى كل مكان ، ويستمدّها من ذكريات طفولته وتجارب حياته وتنقلاته وأسفاره ، والروايات التى ألفها كانت تحوى بذور الكثير من الاقصوصات ، وتمتاز أقاصيص هانس باشتغالها على الكثير من وصف المناظر الطبيعية ، وقد كانت عين هانس لا تغفل عن استطلاع الجمال فى الطبيعة ، فكان يحب الأزهار على اختلاف ألوانها ، وهو على الدوام يلفت الأنظار الى جمال بعض الأزهار التى قد يغيب عن الناس ادراكه ، ففى أقصوصته « الأحقوانة » يقول « (١) فى الريف قريبا من الطريق يقوم بيت صيفى - لقد رأيته بالتأكيد ، وقبالة هذا البيت حديقة صغيرة ملأى بالأزهار ، ويحيط بها سياج أبيض ذو رمانات خضراء ، وعلى الافريز خارج السياج أحقوانة صغيرة تنمو بين الكلا النضير ، وكانت الشمس تسطع فوق الاحقوانة كما تسطع فوق الأزهار الكبيرة البديعة التى فى الحديقة سواء بسواء ، وكانت أشعتها باهرة دفئة ، فكانت الاحقوانة تنمو ساعة فساعة حتى بدت فى صباح أحد الأيام مكتملة النمو بأوراقها الرقيقة البيضاء الملتمة التى أحاطت كالأشعة بالشمس الصفراء القائمة فى وسطها ، ولم يخطر للزهرة الصغيرة أنها محتجة عن الأعين كنها لاختفائها بين الكلا ، فكانت راضية كل الرضا ، تتجه نحو الشمس الدفئة ، وتنتظر إليها ، وتصفى الى القنبرة التى تغرد فى الجو ، وكانت الأحقوانة سعيدة كأنها فى يوم عيد عظيم ، مع أن هذا اليوم لم يكن الا يوم الاثنين ، لقد كان الأطفال فى مدارسهم ، وبينما هم جلوس على مقاعدهم يستظهرون دروسهم كانت الأحقوانة الصغيرة

(١) صفحة ١٢٨ من ترجمة الاستاذ محمود ابراهيم الدسوقي لأقاصيص هانس أندرسن .

فوق عودها الأخضر تتعلم من الشمس الدفقة ،
ومن كل ما يحسوطها أن الله رحيم ، وفي تلك
الأناء كانت القنبرة الصغيرة تعبر في هدوء عن
كل ما تحسه تعبيرا واضحا جميلا ، وكانت الزهرة
تنتطلع الى هذا الطائر السعيد بشيء من الاحترام
والتبجيل لأنه يستطيع أن يغرد ويطيّر ، ولم يكن
يعز عليها أنها لا تقدر على ما يقدر عليه ذلك
الطائر ، بل كانت تقول لنفسها « انى استطيع أن
أرى وأن أسمع ، والشمس تيرنى والريح تقبلنى
فما أكثر نعم الله على » وكان داخل السياج
أزهار كبيرة عدة يدل منظرها على الجمود ويزداد
غرورها كلما قل عبقها ، وكانت الفاوينا تنتفخ
تريد أن تعلو على الورد ، والخزامى تتبدى في
أزهى الألوان ، وكانت تشعر بذلك فى نفسها ،
فتتصب فى وقفها انتصاب العود لكيلا يخفى منها
عن العين شيء .

وفى مقدمة أقصوصة « البطيطة الدميمة » يصف
الصيف قائلا (١) « كان الريف جميلا لأن الأوان
كان صيفا ، وكان القمح مصفرا ، والشوفان أخضر
والدريس مكدسا فوق المروج الخضراء ، والقلق
يروح ويجىء على سيقانه المديدة الحمراء ، يتحادث
باللغة المصرية التى تعلمها من أمه ، وكانت الحقول
والمروج تكتنفها غابات كثيفة ، وفى وسط الغابات
بحيرة عميقة » .

وتتم أقصوصاته على عظمه الشدبد على الذين
أساءت اليهم الحياة ، وتنكر لهم الحظ ، وقست
عليهم الأقدار ، ففى أقصوصته « فتاة الثقاب
الصغيرة يقول » (٢) كان البرد قارسا ، والثلج

(١) صفحة ٢٨ من ترجمة الاستاذ محمود ابراهيم الدسوقي
لاقاصيص هانس أندرسن .

(٢) صفحة ١٦٤ من ترجمة الاستاذ محمود ابراهيم الدسوقي
لاقاصيص هانس أندرسن .

يتساقط سريعا ، والظلام يكاد يجن ، وكان الليل
- آخر ليل فى السنة الراحلة - يرخى سدوله ، بيد
أن فتاة صغيرة مسكينة عارية الرأس ، حافية
القدمين كانت لاتزال تجول فى الطرقات
والبرد والظلام كما أسلفناه وكانت تلبس
خفين حين خرجت من بيتها ، لكن هدين
الخفين كانا أكبر من قدميها حين كانت تعدو
بسرعة فى عرض الطريق لتفادى من مركبتين
مقبلتين ، فضاع أحد الخفين ولم يعثر له على
أثر واختطف الآخر غلام صغير ذهب به يعدو
ويظن أنه يستطيع أن يتخذه مهذا لاحدى الدمى ،
ومشت الفتاة الصغيرة حافية ، واحتقنت قدمها
من البرد ، وكانت تحمل حزمة صغيرة من أعواد
الثقاب بيدها ، وحزما أخرى كثيرة فى مئزرها
الخلق ، لم تبع فى يومها حزمة منها ، ولم يعطها
أحد فلسا واحدا ، بل كانت تمضى تجر نفسها
جرا وترتعش من البرد والمسغبة كأنها الهم المجسم ،
مسكينة أيتها الطفلة الصغيرة ، وكانت هشائش
الثلج تتساقط فوق شعرها الأشقر الطويل المتجمد
فوق كنفها فى حلقات لطيفة ، لكنها لم تكن تفكر
فى جمالها أو فى البرد القارس ، فقد كانت
الأنوار تنبعث فى كل نافذة ، ورائحة الأوز
المشوى تنتشر من منازل عدة ، لأن تلك الليلة
كانت ليلة رأس السنة ، وكان هذا ما تفكر فيه .

ولم يتنكر هانس أندرسن لماضيه ، فحينما
علت شهرته وأقبلت عليه الدنيا وعرف قدره كبار
الكتاب المعاصرين له فى مختلف الدول الأوروبية
كان لاينى يذكر لمن يتحدث معهم من العلية
الظروف السيئة غير المواتية التى نشأ بها والصعاب
التي اعترضت سير حياته ، فحينما زار الملك ماكس
ملك بافاريا وبادله الحديث قال له الملك « لا بد

أنك تشعر بالغبطة لأنك تغلبت على الكثير وظفرت
بالاعجاب والتقدير « فأجابه هانس قائلا « لقد
قلت ان حياتي في الواقع تبدو لي كقصصة من
أقاصيص الجان فهي غنية بالحوادث وملأى بالتنوع
الى حد يثير الدهشة ، ولقد بلوت الفقر ، وعرفت
العزلة ، وتغلبت في البيئات الشرية ، ولقد ذقت
مرارة الاحتقار وحلاوة التقدير والتشريف » .

رسم صورة عامة لحياته دون الإشارة اليها « ويرد
أحد المدافعين عنه على اتهامه بالغرور بقوله
« لم تستطع الناس أن تفهم أنه لما كان قد نشأ في
أحط طبقات المجتمع فانه كان يشعر برغبة حافزة
في أن يظهر لكل انسان أن مساعدة الناس له
وأخذهم بيده لم تذهب عبثا » وهو نفسه كتب
الى صديق له يقول « ان نجاحي يضاف لحسابكم،
وهذا هو سبب اعترازي بنفسى » ولكنه مع حرصه
الشديد على أن يشق طريقه الى الشهرة ، ويظفر
بالمجاد الأدبية ، كان متواضعا موطأ الكنف ،
لا يتعالى على أحد ، ولا يمتنع عن لقاء أى انسان
مادام يعرف كلمة المرور وهي الاعجاب والتقدير .
وفي احدى كلماته في شيخوخته ذكر مصباح
علاء الدين قائلا « حينما ابنتى علاء الدين القلعة
الفخمة بمساعدة مصباحه العجيب ذهب الى
النافذة وأطل منها قائلا وهو يشير الى الأرض
التي أقيمت فوقها القلعة « فى هذه الأرض سرت
على قدمي وأنا غلام فقير » وأنا كذلك قد وهبني
الله مثل هذا المصباح في روحي ، وحينما أضاء
المصباح بلادا كثيرة سر به الناس وأقروا بفضل
وقالوا انه يشع الضوء من الدائممارك ، وخفق
حينئذ قلبي من فرط السرور والارتياح » .

وأخذت صحته في التدهور ، وكان في خلال
السنوات العشر الأخيرة من حياته يشكو ألما
ويشعر بالاجهاد والاعياء ، وأزعجته هذه الحالة،
وابتداء من سنة ١٨٧٢ ازداد ضعفه وهزاله ، وفي
يوم ٦ اغسطس سنة ١٨٧٥ ختمت حياته الحافلة،
وكان هانس اندرسن طويل القامة مديد الذراعين
نحيف الجسم كبير القدمين غير مصقول الملامح
ولا مليح القسمات ضخم الأنف ، ولسكنه كان
شديد العناية بملبسه ومظهره ، وكان الذكاء الذي
يشع من عينيه يضيء على محياه روعة وجمالا .

وكثيرا ما وجهت الى هانس تهمة الغرور
وكثرة التحدث عن النفس ، وقد زاره بكونهاجن
الكاتب النقاد الانجليزى ادمندجوس في السنوات
الأخيرة من حياته وكتب عنه فصلا في كتابه القيم
« دراسات في أدب الشمال » وكان فيما قاله عنه
قوله « السمة الوحيدة في أخلاقه التي لا يرتاح
لها الانسان كثيرا هي استغراقه العجيب في نفسه،
ولم يكن من الممكن أن تقضى في صحبته دقائق
كثيرة دون أن يشير بسذاجة بالغة الى عظمته ،
فملكة تومبكتو قد أرسلت اليه هذه الهدية ،
والباشا الذي يملك الضياع قد منحه وساما ، وان
طفلا صغيرا في احد الشوارع قال حينما رآه
« هذا السائر هو هانس اندرسن العظيم » وكان
لا يمل ذكر أمثال هذه الذكريات ، وسواء عنده
أكان الذي لحظه وأشاد بذكره صبييا ناشئا أو
ملكة عظيمة الشأن مادامت الملاحظة منظوية على
ابداء الاعجاب ، ... قال مرة لأحد أصدقائه
القدامى « أليس حقا اننى أعظم الكتاب الأحياء ؟
ومع ذلك فان الثناء يجب أن لا يوجه الى وانسا
الى الله الذى خلقنى هكذا » ، وهي خاصة
عجيبة ومريضة يمكن اقتفاء أثرها الى الصعاب
الحازبة التي لقيها في طفولته ، ولم تكن ضارة
ولا سيئة القصد ، ولكنها برغم ذلك كانت مملة ،
وقد نمت في أخلاقه ووضحت الى حد أنه لا يمكن

وقد استمد هانز اندرسن بعض أقاصيصه من أقاصيص قديمة ، كان في أحد الأيام يقلب صفحات كتاب دون مانويل الروائي الاسباني المسمى « الكونت ليكانور » فوقف عند الأقصوصة الآتية الواردة في الجزء السابع من الكتاب ، وهى تتضمن كيف حاول ثلاثة من المحتالين خديعة أحد الملوك ، وأعجب بما تنطوى عليه من حكمة وتصوير لأحوال العصر الوسيط وهى واردة في الفصل السابع من الكتاب ، وتروى الأقصوصة أن الكونت ليكانور تحدث في أحد الأيام مع مستشاره باترونيا قائلا « لقد جاء الى رجل وخطبني في أمر بالغ الأهمية ، وأخبرنى أن هذا الأمر سيكون عظيم الفائدة لى ، ولكنه يقول انه يشترط أن لا أطلع عليه أحدا مهما تبلغ ثقتى به ومكاته من نفسى ، وأكد لى أن الاحتفاظ بهذا من ألزم ما يلزم ، واننى اذا بحث بهذا السرا لى انسان فان حياتى وكل ما أملك سيتعرضان للخطر الشديد ، ولما كنت واثقا من دقة وزنك للأمور وسلامة تفكيرك وقدرتك على تمييز الصحيح من الزائف ومعرفة ما يعود بالخير واليمن وما ينجم عنه الضرر لذلك أعرض عليك الأمر لتبدى فيه رأيك وتجيل فيه فكرك وتدلنى بنصيحتك » ، فأجابه باترونيو قائلا « سيدى الكونت لكى تكون على بينة بما يصنع فى هذه المسألة أرجوك أن ترعنى سمعك لأروى لك كيف خدم الملك ثلاثة من المحتالين الأوغاد حضروا اليه ومثلوا بين يديه » فسأله الملك عما حدث فقال « سيدى الكونت ، جاء مرة الى أحد الملوك ثلاثة من المحتالين الأشرار ، وقالوا له انهم أعرف الناس بنسج الأقمشة وأقدرهم على اتقان صنعها ، وانهم بوجه خاص يعرفون أن ينسجوا قماشا لا يظهر الا لأبناء

الحلال الشرعيين ، ولا يبدو لغيرهم من أولاد الحرام غير الشرعيين ، فسر الملك بذلك لأنه يستطيع بهذه الوسيلة أن يعرف أولاد الحازل والأولاد غير الشرعيين من رعيته وبذلك تستقيم كثير من الأمور فى دولته ، ولذلك أصدر أمره بإقامة المحتالين الثلاثة فى قصره ومباشرتهم عمل القماش الذى تحدثوا عنه ، وقالوا له انه لكى يتأكد ويشق من أنهم لا يخدعونه فانهم يقبلون أن يعتقلوا فى القصر حتى يتم نسج القماش ، وسر الملك بذلك ووافق عليه ، وأغدق عليهم الهبات والهدايا من الذهب والفضة والديباج وشاعت الأخبار فى أنحاء البلاد أنهم قد شرعوا فى نسج القماش وأغروا رسل الملك بأن يعلنوا أن النسيج رائع ، وبذلك نجحوا فى حمل الملك على الحضور ليراه بنفسه ، فلما حضر الملك ولم ير شيئا استولى عليه الخوف وفزع فزعا شديدا ، لأنه يعتقد أنه لا يمكن أن يكون ابن الملك الذى كان يعده أباه ، ولذلك بالغ فى الثناء على النسيج ، واقتدى به كل من حضر ، وفى ذات يوم بمناسبة اقامته احتفال عظيم ارتدى الملك الحلة غير المنظورة ، وسار ركه فى المدينة ، ومن حظه الحسن ان الوقت كان صيفا ، ولم يستطع أحد بطبيعة الحال أن يرى النسيج ولكن خشى كل انسان المجاهرة برأيه حتى لا يتهم فى نسبه الى أبيه ، ويفقد منزلته ويثلم شرفه ، وبذلك ظل السر محفوظا ، ولم يجترأ أحد على كشف الحقيقة حتى أقدم على كشفها زنجى كان مكلفا برعاية الجواد الذى يمتطيه الملك ولم يكن عنده شيء يخشى فقداه .

وقد تناول هذه الأقصوصة هانز اندرسن ، وفطن للمعنى العميق الذى لم تتجه اليه الأقصوصة مباشرة ، وهو أن الناس تخشى الاتهام فى سلامة

وان كانا في الحقيقة لم يعملوا شيئا مطلقا ، وقد طلبا أرق الحرير وأخلص الخيوط الذهبية ، ووضعاهما كلها في مزوديهما ، ثم تابعا عملهما المزعوم على النولين الخاليين الى ساعة متأخرة من الليل .

وقال الامبراطور لنفسه بعد أن مضى بعض الوقت : « أحب أن أعرف ما فعل النساجان بقماشى » لكنه تردد وارتبك قليلا حين ذكر ان الأبله أو غير الكفاء لا يستطيع أن يرى القماش ، نعم انه لم يكن يخشى شيئا على نفسه ، لكنه مع ذلك أثر أن ينفذ غيره ليتحرى ما فعل النساجان قبل أن يكلف نفسه عناء الذهاب ، وتسامع الناس بالمدينة بفضل القماش العجيب وتاق الكل الى أن يتعرفوا من من جيرانهم العاقل ومن الأبله .

وقال الامبراطور بعد شيء من التفكير « سأبعث الى النساجين بوزيرى الشيخ الأمين فهو خير من يستطيع الحكم على القماش لأنه رجل عاقل ، وليس يوجد من هو أجدر منه بمنصبه » .

وذهب الوزير الشيخ الأمين الى القاعة حيث كان المحتالان يعملان بكل قواهما على النولين المعطلين ، وقال بعد أن أنعم النظر فى النولين يخاطب نفسه « ما معنى هذا ؟ انى لا أراى قادرا على رؤية خيط واحد على النولين » ولكنه مع ذلك لم يفصح عما كان يجول بخاطره .

وطلب اليه المحتالان بأدب وخشوع أن يتفضل بالاقتراب من النولين ، ثم سألاه « أعجبه الرسم ؟ وهل ليست الألوان فائقة الحسن ؟ » وكانا يشيران فى الوقت نفسه الى الاطارين الضاويين ، وتأمل الوزير الهرم المسكين وأطال التأمل ، فلم يستطع أن يرى شيئا على النولين لسبب معقول جدا هو أنه لم يكن عليهما شيء .

تفكيرها وصحة عقلها أكثر مما تخشى الشك فى صحة نسبها ، ولذلك صاغها صياغة جديدة فى قصة « ملابس الامبراطور الجديدة » وقد رواها على هذا النمط الآتى « (١) كان فى قديم الزمان امبراطور مولعا بالملابس الجديدة ينفق عليها كل ماله ، ولم يكن يعنى أقل غنابة بجنوده أو بالذهب الى المسرح أو الخروج الى الصيد الا لكى تتاح له الفرصة لعرض ملابسه الجديدة ، وكان له فى كل ساعة من ساعات النهار ملبس مختلف ، وكان الناس اذا تحدثوا عنه لا يقولون « انه فى مجلس الحكم » كما اعتادوا أن يقولوا عن غيره من الملوك والأباطرة ، بل كانوا يقولون « ان الملك فى خزانة ملابسه » وكان الوقت يمر فى سرور فى المدينة الكبيرة التى كانت مقر حكمه ، والأجانب يفدون على البلاط فى كل يوم ، ففى ذات يوم أقبل على المدينة محتالان يسميان نفسيهما نساجين ، وزعما أنهما يحسنان نسج قماش ذى ألوان متناهية فى الجمال ، ورسوم غاية فى الاتقان ، وان الملابس التى تصنع منه تمتاز بميزة عجيبة هى انها لا تراها عين من ليس قادرا على القيام بواجبات منصبه أو من كان ساذجا متناهايا فى السذاجة .

وقال الامبراطور لنفسه « لابد ان تكون هذه الملابس عظيمة بلامراء ، ولو كان لى بعضها لاستطعت أن أعرف فى الحال من من رجال الدولة لا يليق بمنصبه ، ولأمكننى أيضا أن أميز الأبله من العاقل ، واذن يجب أن ينسج لى هذا القماش على الفور » ثم أمر بمبالغ طائلة لكلا النساجين ليبدءا عملهما فى الحال ، وأقام النساجان المزعومان نولين ، وتظاهرا بالانكباب على العمل ،

(١) ترجمة الاستاذ محمود ابراهيم الدسوقي من ص ٢٧٤ :
ص ٢٧٩ من كتاب اقاصيص هانس اندرسن .

وتحدثا عن الرسم والألوان التى لم يكن لها أثر .

وقال الرسول لنفسه « لست غيبا بالتأكد ، فلا بد أن يكون الأمر أنى لست اهلا لمنصبى الذى أشغله والذى يدر على المال الكثير ، ومع ذلك فلن يدرى أحد بهذا » ثم أثني على القماش الذى لم يره ، وأعلن أنه مغتبط بالألوان والرسم كلها .

وقال لمولاه حين عاد « حقا يا صاحب الجلالة، ان القماش الذى يعده النساجان فاخرا الى درجة غير عادية ؟ »

وكانت المدينة بأسرها تتحدث عن القماش البديع الذى أمر الامبراطور بنسجه على نفقته وأحب الامبراطور أن يرى القماش الثمين وهو لا يزال على المنوال، فتوجه الى الدعين الماكين مع نخبة من رجال البلاط ، وفى جملتهم العظيمان اللذان اعجبا من قبل بالقماش ، فلما شعر النساجان بدنو الامبراطور ابديا فى عملهما همة لم يديها من قبل ، وان كانا مازالا على حالهما لم يدخلوا فى النول خيطا واحدا .

وقال رجلا الدولة اللذان اسلف ذكرهما « اليس هذا عملا عظيما جدا ؟ حبذا لو تفضلتم جلاتكم فشمتموه بنظرة . فياله من رسم بديع . وياله من ألوان فاخرة . » وأشار فى نفس الوقت الى الاطارين الفارغين ، اذ تصورا ان كل من عداهما يستطيع رؤية هذه القطعة الطريفة .

وقال الامبراطور لنفسه « كيف هذا ؟ انى لا أستطيع أن أرى شيئا ، هذه مسألة مخيفة حقا . فهل أنا رجل أبله ؟ أو غير أهل لأن أكون امبراطورا ؟ ان هذا ليكون أسوأ ما يمكن أن يقع

وعاد يفكر ، « ما هذا ؟ أمممكن أن أكون أبله ؟ ان هذا لم يجعل قط بخاطرى ، ويجب أن لا يعلم هذا أحد اذا كنته ، أو لعلى غير أهل لمنصبى ؟ وهذا أيضا يجب ان لا يقال ، لن اعترف أبدا بأنى لم أر القماش » .

وقال أحد الخيئين وهو لا يزال يتظاهر بالعمل : أى سيدى الوزير الم تقبل لنا هل يعجبك القماش ؟ » .

فأجاب الوزير الهرم ، وهو ينظر الى النول من وراء منظاره « انه بديع ، ما أجمل هذا الرسم وهذه الألوان . أجل سأخبر الامبراطور بلا ابطاء برأى فى جمالها الفاتن » .

وقال الدعيان « سنكون أسيرى فضلك » ثم أخذوا يذكران مختلف الألوان ويصفان رسم القماش المزعوم ، وأصغى الوزير الهرم الى كلامهما فى انتباه لكى يستطيع أن يعيده على سمع الامبراطور ، ثم طلب الخيئان مزيدا من التحرير والذهب ، وقالوا انه لا بد لهما من أن يكملا ما بدأ ، على أنهما وضعوا كل ما أعطيا فى مزوديهما ، وتابعا العمل على نوليتهما الخاليين بمثل النشاط الذى أظهره من قبل .

وبعث الامبراطور برجل آخر من رجال بلاطه لينظر ما فعل الرجلان ، وليستوثق من ان القماش قد شارف التمام ، ووقع لهذا السيد ما وقع للوزير ، فعان النولين من كل جانب ، لكنه لم يستطع رؤية شئ البتة ، اللهم الا النولين العارين .

وسأل الدعيان سفير الامبراطور الثانى « الا يلوح لك القماش جميلا كما لاح لسيدنا الوزير ؟ » ثم مثلا الاشارات التى مثلاها من قبل،

وقال رجال البلاط جميعا « بالتأكيد » وان كان أحد منهم لم ير شيئا من هذا القماش الطريف وقال الخيثان « هل يتفضل صاحب الجلالة الامبراطور بخلع ملابسه لكى نلبسه الملابس الجديدة أمام المرأة ؟ »

ونضيت عن الامبراطور ملابسه ، وتظاهر الشقيان بأنهما يلبسانه ملابسه الجديدة ، ياله من رسم . ويا لها من ألوان . هذه حقا ثياب ملكية . وأعلن كبير التشريفات « ان المظلة التى ستظل جلالتك فى الموكب حاضرة » فأجاب الامبراطور « انى على اتم استعداد فهل تلائمنى ملابسى الجديدة ؟ » وعاد يدور امام المرأة ليظن الناس انه يختبر ملابسه الجميلة .

وتحس الأرض سادة مخدع النوم الذين يحملون ذيل الامبراطور كما لو كانوا يرفعون أطراف العباءة ، وتظاهروا بأنهم يحملون شيئا لأنهم لم يكونوا يريدون أن يظهروا بلهاء أو غير أهل لمناصبهم .

وسار الامبراطور تحت مظلته العالية فى شوارع عاصمته وسط الموكب، ووقف الناس فى طريقه وفى النوافذ يصيحون « ما أجمل ملابس الامبراطور الجديدة . وما أفخم ذيل العباءة . وما أظرف ما تتدلى اللقاعة . »

وقصارى القول أن أحدا لم يسلم بأنه لم ير هذه الملابس التى صادفت هذا الاعجاب الكثير ، لأنه ان فعل حكم على نفسه بأنه أبله أو غير أهل لعمله ، وفى الحق انه لم يكن لحيلة من حلل الامبراطور المختلفة ما كان لهذه الملابس التى لم ترها الأعين من أثر عظيم .

وقال طفل صغير : « ولكن الامبراطور عار لا يرتدى شيئا » فصاح أبوه « استمعوا الى

ثم قال بصوت عال نعم انه لقماش شائق ، وانى لاتقبله أحسن قبول » وابتسم مبالغا فى التلطف ، ودقق النظر فى النولين الفارغين لأنه ما كان ليقول بحال من الأحوال انه لم ير ما أثنى عليه اثنان من رجاله هذا الثناء الكثير .

وادامت الحاشية كلها النظر لعلها ترى شيئا على النولين ، لكنها لم تستطع أن ترى أكثر مما رأى الآخرون ، ومع ذلك فقد صاحوا جميعا ، « ما أجمل هذا » وأشاروا على صاحب الجلالة بأن يوصى بملابس تصنع له من هذا القماش البديع ليرتديها فى الموكب المقبل .

ورددت جوانب القاعة « فخم . شائق . بديع . وكان الجميع مغتبطين فرحين على غير عادة ، وشاطرهم الامبراطور هذا الابتهاج العام ، وخلع على اللعين وشاح وسام من أوسمة القروسية يحملان شارته فى عروة الزر ، وأنعم عليهما بلقب « نساچى صاحب الجلالة » وسهر الخيثان طيلة الليلة السابقة ليوم الموكب ، وأيقيا ستة عشر مصباحا مضاءة ليعلم كل انسان مبلغ اهتمامهما باتمام ملابس الامبراطور الجديدة ، وتظاهرا بأنهما يسجبان القماش عن النولين ، وطفقا يقصان الهواء بمقصيهما ، ويخيطان بآبرة لا خيط فيها ، وصاحا أخيرا « انظروا هاهى ذى ملابس الامبراطور الجديدة قد أعدت . »

وجاء الامبراطور مع عظماء بلاطه الى النساچين، ورفع الخيثان أذرعهما كأنما يعرضان شيئا، وقالا هذه سراويل جلالتك ، وهذه اللقافة . وهذه العباءة ، ان الملابس كلها خفية كنسيج العنكبوت حتى ليخال المرء اذا ما ارتداها أن ليس على جسمه شيء ، وهذه هى الميزة الكبرى لهذا القماش الرقيق . »

«صوت البزى» . « وتهاشم الناس جميعاً بما
قال الغلام الصغير .

وأخيراً صاح الجمع : « لكنه لا يرتدى شيئاً »
فغيظ الامبراطور ، لأنه كان يعلم ان الناس
محقوقون ، لكنه رأى أن يمضى الموكب فى سيره ،
وعنى سادة مخدع النوم أكثر من ذى قبل بأن
يظهروا حاملين ذيلاً ، وان لم يكن ثمة ذيل قط .
وقد أعاد هانس اندرسن صياغة القصة ، وبعث
فيها بخياله الوثاب حياة جديدة ، وقربها الى
العقول والقلوب ، وهو ضرب من الاقتباس الفنى
الموفق الذى يكاد يسمو الى مرتبة الخلق
والايجاد .

واقتبس هانس اندرسن من الأقاصيص
والأساطير التى جمعها الأخوان الألمانيةان جرم
قصة « هانز المحفوظ » ومضمونها أن هانز خادم
سيده مدة سبع سنوات ، وقال له فى النهاية
« يا سيدى قد انتهت مدة خدمتى واريد العودة
الى بلدى لأرى والدتى فاعطنى أجرى » وقال له
سيده « لقد كنت خادماً أميناً صالحاً ولذا سأجزل
لك العطاء » وأعطاه فلذة من الفضة بمقدار حجم
رأسه .

وأخرج هانز منديل جيبه ووضع فيه فلذة
الفضة والقها على ظهره ودلف الى بلده ، وبينما
هو يتهادى فى سيره ويجر قدماً بعد أخرى أبصر
رجلاً يخب به جواد فاره وهو مرح ناعم البال ،
فقال هانس فى صوت مسموع « ما أجمل ركوب
الخيال ؟ انه يجلس هناك كأنما هو فى بيته متربع
على كرسيه ، فلا يتعثر فى الأحجار ويحافظ على
حذائه ، ومع ذلك يتقدم وهو لا يكاد يدري ،
فسمعه راكب الجواد وقال : « حسن يا هانس ،
ولما تسير على قدميك اذن ؟ » .

فقال هانس « على أن أحمل هذا الحمل الثقيل ،
انه فضة ، ولكنها من الثقل بحيث انى لا أستطيع
أن أرفع رأسى ، وهى تؤلم منكبى ايلاماً موجعاً » .
فقال له راكب الجواد « ماذا تقول فى تبادلنا ؟
وسأعطيك جوادى وأنت تعطينى فلذة الفضة »
فقال هانس « انى اقبل ذلك وأوده ، ولكنى
لا أخفى عليك شيئاً واحداً وهو أنك ستلقى ارهاقاً
وعنتاً فى جرها »

فترجل راكب الجواد ، وأخذ فلذة الفضة ،
وساعد هانس على امتطاء الجواد ، ووضع عنانه
فى يده وقال له « حينما تريد أن يسبح بك الجواد
فتمطق تمطقاً عالياً وصح به قائلاً « احرن » وسر
هانس لما اعتلى الجواد ، وسار به الجواد وهو
مرح فرح ، وبعد حين من الزمن بداله أن يسرع فى
السير ، ولذا تمطق وصاح « احرن » فانطلق
الجواد يعدو ملء عنانه ، وقبل أن يدرك هانس
ما هو صانع سقط من فوق الجواد فى حفرة على
جانب الطريق وكاد يفر الجواد لولا ان تصدى له
وأوقفه أحد الرعاة ، وكان مقبلاً حينذاك يسوق
أمامه بقرة ، وسرعان ما عاد هانس الى رشده ،
وهب واقفاً على قدميه ثانية ، وكان مغیظاً حقاً ،
وقال للراعى « ليس الركوب لهواً حينما يمتطى
المرء مثل هذا الجواد الذى يزل به ويلقيه كأنه
يحاول أن يدق عنقه ، ومهما يكن من الأمر فانتى
لن أعود الى ركوبه ، وانى أفضل بقرتك عليه
كثيراً ، فالإنسان يستطيع أن يسير خلفها على
رسله ، ويبيع كل يوم لبناً وزبداناً وجبناً ، فماذا
أدفع لكى أحصل على مثل هذه البقرة ؟ »

ووافق الراعى على أن يستبدل بالبقرة
الحصان ، وساق هانس البقرة فى هدوء واعتقد
ان الصفقة رابحة ، وسار قاصداً القرية التى تقيم

بها ولدته والفى نفسه فى ودقة مترامية الأطراف،
ولفحته حمأة القيظ ولاحه الظمأ حتى التصق
لسانه بجذكه ، وقال لنفسه « انى أستطيع أن أجد
علاجاً ناجحاً لذلك ، فالآن أحلب بقرتى وأروى
ظمئى » وبينما كان يجرب حظه ويستدر الضرع
بطريقة خاطئة تضايقت البقرة فركلته فى رأسه ركلة
أوقعته على الأرض ، ولحسن الحظ مر به فى التو
واللحظة قصاب يسوق أمامه خنزيراً فى عربة ،
وقال القصاب وهو يعاونه ويأخذ بيده « ماذا
أصابك ؟ » فأخبره هانس بما حدث ، فقال له
القصاب « ان بقرتك لم تدر لك لبناً لأنها عجوز
فهى لا تصلح إلا للذبح » فقال هانس « انى أكره
لحم البقر ، ولو انها كانت خنزيراً لأمكن الانسان
أن ينتفع به » فقال القصاب « حسن انى اقبل
المبادلة لكى اسرك » واعطاه هانس البقرة وساق
أمامه الخنزير ، وبدا له أن احواله ستستقيم ،
ولقى بعد ذلك رجلاً ريفياً ليسأله عن الساعة ،
فأخبره هانس بأخبار الصفقات الراححة التى
عقدها ، فقال له الريفى انه يحمل أروزة لحفلة
تعميد ، وان الخنزير قد يوقعه فى ورطة ، لأن
العزبة التى غادرها سرق من زريبة أحد ساداتها
خنزير ، وأخاف هانس فقبل أن يعطى الرجل
الريفى الخنزير فى مقابل الأروزة ، وسار هانس فى
الطريق الى بلده خالياً من الهم ناعم البال ، ولما
وصل الى القرية رأى أحد الذين يسنون المقصات،
ومعه عجلته وهو يقوم بعمله ويغنى فوقف هنيهة
ينظر اليه ، ثم قال له أخيراً « يبدو لى انك مسرور
فى عملك » فأجابه السنان قائلاً « نعم فعلى تجارة
راححة ، ولكن من أين أحضرت هذه الأروزة
الجميلة ؟

— انى لم أشتريها وانما استبدلتها بخنزير .

— ومن أين حصلت على الخنزير ؟
— استبدلته ببقرة .
— ومن أين جئت بالبقرة ؟
— لقد استبدلتها بحصان .
— ومن أين جئت بالحصان ؟
— لقد قدمت لقاءه فلذة من الفضة بمقدار
حجم رأسى .

وختمت المناقشة بينهما بقبول هانس أن يعطيه
السنان حجراً خشناً عادياً ملقى بجانبه ثمناً للأروزة
وأخذ هانس الحجر وسار فى طريقه فرحاً مسروراً،
ثم أخذ يشعر بالتعب والاعياء ، وثقل عليه حمل
الحجر واستنفذ قواه ، فتحامل على نفسه حتى
وصل الى جانب غدير ، ووضع الحجر بعناية على
جانب حافة الغدير ، ولكنه حينما انحنى ليشرب
نسيه ودفعه قليلاً ، فهوى الحجر دفعة واحدة فى
أعماق الغدير ، فقفز من السرور والمرح ، وشكر
الله لأنه اراحه من حمل الحجر وسار فى طريقه
متخففاً من الهموم والمتاعب حتى وصل دار
والدته .

وقد ألف هانس أندرسن أقصوصة « ما يفعله
الشيخوخ هو دائماً عين الصواب » على مثال قصة
هانس المحظوظ ولكنه أضاف إليها أشياء من
عنده ، وهذه هى الأقصوصة كما رواها هانس :
« سأروى لكم أقصوصة سمعتها وأنا غلام
صغير ، وكلما فكرت فى هذه الأقصوصة ازدادت
فى عيني جمالاً وبهجة ، والأقصوصات مثل سائر
الناس كلما قدم عهداً زادت روعتها وجمالها .

ولست أشك فى أنكم قد زرتم الريف، ورأيتم
البيوت القديمة القائمة فى المزارع وسقوفها
المصنوعة من القش وقد نما فوقها الطحالب
والنباتات الصغيرة ، وهناك عش اللقلق على طرف

السقف الهرمى الشكل لاننا لا نستطيع الاستغناء عن اللقلق ، وحيطان الدار ماثلة والنوافذ منخفضة ولا يعد للفتح سوى واحد منها . ويرز المخزمن الحائط مثل كرة ضخمة الحجم ، وامتدت اغصان شجرة الزيزفون على السياج الذى يجرى تحته غدير يسبح فيه قليل من البط ، وهناك فى فناء الدار كلب ينبج القادمين ، ودار مثل هذه الدور الريفية كانت قائمة فى احد أزقة الريف ، وكان يسكنها اثنان متقدمان فى السن ، رجل مزارع وزوجته ، وكانا لا يملكان سوى القليل وكان من هذا القليل الذى يمكن الاستغناء عنه حصان كان يعيش على الحشيش الذى يجسده على جانب الطريق الصاعد ، وكان المزارع الشيخ يركب هذا الحصان حينما يذهب الى المدينة ، كما كان جيرانه يستعيرون منه الحصان ويقدمان فى مقابل ذلك بعض الخدمات للزوجين المسنين ، ولكن ماذا تجدى هذه الخدمات القليلة ؟

وقالت الزوجة لزوجها « انك خير من يعرف ، واليوم السوق ، فاركب الى المدينة واستبدل بالحصان النقود أو أى بديل آخر صالح ، وكل ما تصنعه سيكون فى رأى عين الصواب » .

وثبتت له رباط الرقبة ، لأنها كانت تجيد ذلك أكثر منه وأمسكت بقبعته ومرت عليها براحه يدها لتزيدها نعومة ولينا وقلته ، وركب الجواد الذى سيباع أو يستبدل به شيئا آخر ، نعم كان الرجل المسن يعرف ماذا يصنع ، واضاءت الشمس وكانت اشعتها شديدة الحرارة ، ولم تر فى السماء سحابة واحدة ، وكان الطريق كثير الغبار لأن الذاهبين كانوا كثيرين ما بين راكب وسائق وسائر ، ولم تكن هناك وقاية من ضوء الشمس الساطع الشديد الحرارة ، وكان من

السائرين فى الطريق رجل يسوق بقرة الى السوق ، وكانت البقرة جميلة كأجمل ما يكون البقر .

فقال المزارع لنفسه « انها تدر لبنا جيدا ،وانى لعلى ثقة من ذلك ، وهى تصلح للمبادلة فلا أقدم لصاحبها . وقال « يا صاحب البقرة ، ماذا أقول لك ، انى أجترىء على القول بان الحصان أكثر نفعا من البقرة ، ولكنى لا أبالى بذلك .. فالبقرة ستكون أنفع لى ، فاذا وافقت فانى ابادلك » فقال الرجل « انى أوافق بكل تأكيد » .

وتمت المبادلة ، وكان يستطيع المزارع بعد انهاء الصفقة أن يعود أدراجه لأنه أتم العمل انذى جاء من أجله ، ولكنه كان قد صمم على الذهاب الى السوق ولذلك لم تشن المبادلة عزمه ، ولما ليذهب ليلقى عليه نظرة ، ولذلك سار فى طريقه الى السوق ومعه البقرة ، وكان وهو يقود البقرة يسير بخطوات عنيفة، وبعد وقت قصير لحق برجل كان يسوق أمامه شاة ، وكانت شاة سمينية فى ظهرها جزة فاخرة .

فقال المزارع لنفسه « انى اود أن املك هذه الشاة ، وعندنا من الحشائش فى السياج ما يكفى لها ، وفى الشتاء نستطيع أن نبيتها معنا فى حجرتنا ، وربما يكون الأجدى علينا أن نملك شاة بدلا من البقرة ، فهل أتقدم للمبادلة ؟ »

وكان صاحب الشاة مستعدا لقبول المبادلة ، وسرعان ما تمت الصفقة ، وسار المزارع فى الطريق ومعه الشاة ، ولم يتقدم قليلا بعد ذلك حتى لحق برجل جاء الى الطريق من أحد الحقول ، وكان يحمل تحت ذراعه أوزة .

فقال له المزارع « ما هذا المخلوق الثقيل الذى

تحمله . انها كثيرة الريش والشحم ، وستكون أحسن منظر حينما تربط بشريط أو تربط في الماء عندنا ، وستكون جزيلة النفع لأمراتى العجوز ، وستنتفع بها في وجوه كثيرة ، وطالما قالت « لو كان عندنا اوزة . » وها قد عرضت انفرصة ، فإذا كان ممكنا فاني سأحصل عليها من أجلها ، فهل تقبل المبادلة ؟ انى سأعطيك الشاة لقاء الاوزة وأحمد المبادلة .

ولم يكن عند صاحب الاوزة أقل مانع من الموافقة على ذلك ، ولذلك تمت الصفقة وأصبح المزارع يملك الأوزة ، وكان حينذاك جد قريب من المدينة ، وكانت الجماهير على الطريق الصاعد قد تزايدت وازدحم الناس والمواشى ، وكانت المواشى تسير في الطريق والى جانب السياج ، وعند باب دفع المكوس دخلت في حقل البطاطا الذى يملكه جابى المكوس ، وكانت به دجاجة تتخطر وقد شد شريط الى ساقها خشية أن تنزع من زحمة الجماهير وتنطلق هاربة وتفقد فى الزحام ، وكان شعر ذيلها جد قصير ، وكانت عيناها تطرفان ويبدو فيها المكر وهى تقفرقر ، ولست أدري ما الذى كان يطوف بفكرها وهى تقول ذلك . ولكن المزارع الطيب ظن أنه عرف فحوى كلامها ، وقال لنفسه « انها أجمل دجاجة رأيته في حياتي ، انها أجمل من دجاجة راعى الكنيسة التى تفقس البيض ، انى اود اقتناء هذه الدجاجة ، والدجاج يستطيع التقاط الحب الملقى بفناء الدار وليست الدجاجة في حاجة الى ما يتهددها ، وأكبر ظنى أنه من الخير أن أستبدلها بالاوزة ، وسأل جابى المكوس قائلا « هل تقبل المبادلة ؟ »

فكرر الرجل كلمة « المبادلة » وقال « حسن أنها مبادلة صالحة » .

واحتفظ جابى المكوس بالاوزة ، وحمل المزارع الدجاجة ، وقد مارس المزارع أعمالا كثيرة في طريقه الى السوق ، وشعر بالاعياء ، واتبته حرارة الشمس ، وشعر بالجوع والحاجة الى تناول زجاجة من الجعة يستجد بها نشاطه ، ولذلك عرج على حانة ، وبينما كان يهم بدخول الحانة كان خادم الحانة خارجا منها حاملا عدلا ، فقال له المزارع « ما الذى تحمله في هذا العدل ؟ »

فأجاب الخادم قائلا « انه تفاح معطوب صالح لتغذى به الخنازير » .

فقال المزارع « انه اسراف فظيع ، انى أفضل أن أحمله الى زوجتى العجوز ، وفي السنة الماضية لم تحمل شجرة التفاح العجوز القائمة في قطعة الأرض المشوشة سوى تفاحة واحدة ، وقد احتفظنا بها في الخزانة حتى ذبلت وتعفت ، وكانت زوجتى تقول دائما انها من الأشياء التى يجدر بنا الاحتفاظ بها والحرص عليها ... وها هو عدل ممتلىء بالتفاح وسترى فيه زوجتى الكثير مما يستحق أن نحتفظ به ، وأنى أؤثر أن أريها اياه » فسأل خادم الحانة قائلا « ما الذى تعطيه لى في مقابل العدل ؟ » .

« ماذا أعطيه لك في مقابل العدل ؟ انى سأعطيك بدلا عنه الدجاجة » .

وهكذا تسلم التفاح المعطوب وحمله الى ردهة الحانة ، ووضع العدل الى جانب الموقد بعناية ، واتجه الى المائدة ، ولكن الموقد كان ساخنا ، ولم يلق المزارع باله الى ذلك ، وكان كثير من الأضياف حاضرين ما بين بائعى خيل وتجار ماشية وانجليزيين ، وكان هذان الانجليزيان من ذوى الثراء وكانت جيوبهما ملأى حتى لتكاد تبرز منها

« نعم ولكنى استبدلت بالبقرة شاة » .

فقلت زوجته « ذلك خير وأحسن ، انت دائما تفكر فى كل شىء ، وعندنا ما يكفى من المرعى ، وسيكون عندنا لبن النعاج والجبن وصوف السترات والجوارب . والبقرة لا تعطينا كل هذه الأشياء وشعرها يتساقط ، انك تحسن التفكير فى كل شىء . »

« ولكنى استبدلت بالشاة أوزة » .

« اذن سيكون عندنا اوزة مشوية نأكلها فى هذه السنة ، وانت أيها الرجل العجوز العزيز تفكر على الدوام فيما يدخل على قلبى السرور . وهذا شىء سار . ونستطيع أن نترك الأوزة تخطر وهى مقيدة بالشريط فى ساقها ، وبذلك تزداد سمته قبل أن نشويها » .

« ولكنى استبدلت بالأوزة دجاجة » .

فأجابت المرأة « دجاجة . انها مبادلة موفقة ، ان الدجاجة ستيض وتفقس البيض ، وسيكون عندنا فرايج ، وحظيرة للدجاج ، وهذا ما كنت أتمناه » .

« نعم ، ولكنى استبدلت بالدجاجة عدلا من التفاح المعطوب » .

فقلت امرأته بلهجة الاستغراب « ماذا؟ لا بد لى أن اقبلك من اجل ذلك . وانى سأخبرك الآن بشىء يا زوجى العزيز الطيب ، أتعرف انك حالما تركتني فى هذا الصباح أخذت أفكر فى ماذا أقدمه لك من العشاء الصالح فى هذا المساء ، وهدانى التفكير الى اعداد البيض المقلى ولحم الخنزير والأعشاب اللذيذة المذاق ، وكان عندى البيض ولحم الخنزير ولكن كانت تنقصى الأعشاب ولذلك ذهبت الى ناظر المدرسة ، وكنت أعلم ان

النقود ، وكان التفاح المحفوظ فى العدل قدسرت فيه حرارة الموقد ، وفاحت رائحته ، فقال احد الانجليزين « ما هذا ؟ » فأجاب المزارع قائلا ألا تعرفون : ومضى قائلا لهم قصة استبداله بالحصان البقرة وسائر القصة حتى وصل الى أخذه التفاح .

فقال له الانجليزيان « ان زوجتك ستشتد فى لومك وتأنيك حينما تعود الى دارك ، أترى انه لن تحدث هناك ضجة ؟ »

فقال المزارع « ماذا ؟ تؤنبنى ؟ انها ستقبلنى وتقول « ان ما يصنعه العجوز هو دائما عين الصواب » .

فقال أحد الرجلين الانجليزين « لتراهن على ذلك ، وأنى سأراهن بطن من العملة الذهب ، مائة جنيه للقنطار الانجليزى » .

فأجاب المزارع « ان البوشل فيه الكفاية ، ولا أستطيع سوى أن أضع بوشلا من التفاح فى مقابل ذلك ، وأتقدم للمراهنة مع زوجتى العجوز ، وأحسب هذا مما يزيد فى الميزان » .

فقال الانجليزى « قد قبلنا الرهان ، وذهب المزارع مع الانجليزين الى كوخه ، وقال لامرأته محيا « سعد مساؤك أيتها العجوز » فأجابته « سعد مساؤك »

« لقد قمت بالمبادلة »

فقلت العجوز « آه ، حسن ، انك تدرى ما أنت صانع ، وعانقته ولم تلق بالا الى الغريبين اللذين كانا فى صحبتته ، ولم تلحظ العدل .

« لقد استبدلت بالحصان بقرة » .

« الحمد لله ، سيكون عندنا الكثير من اللبن والجبن على مائدتنا ، هذه مبادلة ناجحة النجاح النجاح كله » .

عندهم أعشاب كثيرة ، ولكن ناظرة المدرسة امرأة شريرة رغم انها تجيد الابتسامات العذبة، وسألتها ان تعيرني ملء اليد من الاعشاب فقالت انها ليس عندها ما يمكن اعارته ، وانه لا شيء ينمو في حديقتهم حتى ولا التفاح المعطوب وانها لا تستطيع ان تعيرني تفاحة معطوبة واحدة ، واستطيع الآن اعيرها عشر تفاحات أو عدلا ملائما مما يبعث على سرورى الزائد، ويجعلنى ذلك أضحك فرحا» ثم قبلت زوجها قبلة حارة .

فقال الانجليزيان « حسن ، اننا نحب هذا كله، ومما يستحق أن ندفع له مالا ان نرى الانحدار من التل مع الاحتفاظ بالابتهاج » ودفعا للمزارع ما يعادل وزن القنطار الانجليزى من الذهب ذلك المزارع الذى كان لا يلقى لوما ولا تأنيبا مهما يصنع بل يقابل بالقبلات .

وهذه هى القصة التى سمعتها وانا طفل ، وقد سمعتموها اتم كذلك وعرفتم ان « ما يصنعه الرجل العجوز دائما هو عين الصواب » .

ومن أقصوصاته التى تظهر فيها شاعريته جلية واضحة وقدرته على وصف ماهو فوق الطبيعى بطريقة طبيعية أقصوصة الناقوس ، وفى هذه الاقصوصة يواجه الطبيعة شاعر البساطة الخالصة والطبيعة الصافية ، وهو يتناول فيها ناقوسا غير منظور خرج الأطفال بعد تثبيتهم الكنى الى الغابة ليجثوا عنه ، يحدوهم على ذلك النزوع الى المجهول الذى يعمل فى نفوسهم الغضة وتطلعمهم الى استماع أصوات الطبيعة الغريبة المعجبة، وكان ملك البلاد قد نذر ان الذى يكشف المصدر الذى تنطلق منه هذه الأصوات سيعطى بقلب داق الناقوس العام حتى لو لم يكن هناك ناقوس حقيقى ، وذهب الكثيرون الى الغابة لكى يصلوا

الى ذلك المكان ، ولم يعد سوى واحد منهم بنوع من التفسير والبيان لأنه لم يذهب انسان موغلا فى الغابة الى ما يكفى للقيام بالبحث ، ولم يذهب هذا الانسان أبعد مما ذهب الآخرون ، ومهما يكن من الأمر فانه قال ان الصوت منبعث من بومة جد كبيرة ، جاثمة فى شجرة جوفاء ، وهى بومة على جانب من العلم والمعرفة لا تنفك تضرب رأسها فى فروع الشجرة ، وحصل بذلك على مكان داق الناقوس العام ، وكان يكتب فى كل سنة رسالة موجزة عن البومة ، ولكن كل انسان كان حكيما كما كان من قبل ، والأطفال الذين ثبتوا تثبيتا كئيبا ذهبوا كذلك فى هذه السنة ، وكل واحد قد أمسك بيد الآخر ، لأنه لم يكن لأحد منهم منصب كبير ، ولكنهم سرعان ما أدركهم الاعياء ، وعاد بعضهم ادراجهم الى المدينة وكل واحد منهم له عذره الخاص وحجته ، وجماعة كبيرة منهم توقفت عند ناقوس صغير فى منزل ريفى صغير ، دون ان يقدروا ان مثل هذا الناقوس الصغير لا يمكن أن يرسل مثل هذه الأنغام الشجية بل يطلق انغاما مختلفة عن الأنغام التى تستطيع أن تحرك القلب البشرى ، وبالأمل الصغير والنزوع القليل كانوا يركنون الى الراحة على مقربة من كشفهم الصغير للناقوس الصغير والسرور القليل ، ولا بد أن القارئ لقى أمثال هؤلاء الصبية بعد أن كبروا ، وأخيرا بقى اثنان منهم ، ابن ملك و غلام فقير يتنعل حذاءين من الخشب وعليه ستر من القصر بحيث يستطيع الانسان أن يرى منها طول معصميه ، وقد افترقا فى الطريق ، فذهب أحدهما الى اليمين باحثا عن الناقوس واتجه الآخر الى اليسار ، وبحث ابن الملك عن الناقوس فى الطريق الواقع على الجانب

الموضوع فيه القلب ، وسار الغلام الآخر الفقير في الاتجاه المقابل، وتغلغل ابن الملك في الغابة دون أن ينشئ عزمه أو يضعف أمله، ورأى أعجب الأزهار نامية فكان هناك الزنايق بأطرافها الحمراء والخزامى التي تضيء عندما تحركها الرياح وأشجار التفاح، ويبدأ غروب الشمس ويخشى ابن الملك المفاجأة في أثناء الليل فيرتقى صخرة لكي يرى الشمس مرة ثانية قبل أن تختفي في الأفق ، ويصل الى القمة قبل غروب الشمس ، وكان الليل فخما رائعا من أعالي تلك الصخرة ، وكان البحر الذي أخذت أمواجه تندفع الى الشاطئ ممتدا أمامه ، وهناك حيث يلتقى البحر بالسما كان كل شيء كأنه يذوب في الألوان المتوهجة ، ويغنى البحر والغابة أغنية الابتهاج وكان قلبه يشاركهما في التغنى ، وكانت الطبيعة جميعها كأنها معبد مقدس فيه الأشجار والسحب الشفافة كأنها أعمدة ، وكأن الأشجار والحشائش بساط من المخمل ، والسما نفسها كأنها قبة كبيرة ، واختفت الألوان الحمراء حينما غابت الشمس ، ولكن ملايين الكواكب تلالأت

وملايين المصاييح الماسية اضاءت ، ورفع ابن الملك ذراعيه نحو السماء والغابة والبحر ، وفي الوقت نفسه ظهر الغلام الفقير الذي يلبس الحذاءين الخشبيين والسترة القصيرة الأكمام ، وكان قد انتهى الى المكان نفسه عن طريق اليمين ، وقد سار في طريقه ووصل الى البقعة نفسها حينما وصل اليها ابن الملك وأقبل كل منهما على الآخر ووقفا معا متشابكي الأيدي في محراب الطبيعة الواسع الأرجاء وفوقها كان يرسل رنينه الناقوس الخفي المقدس ، وتهفو حولهما الأرواح المباركة ترتفع صوتهما بالتهليل والدعاء ، والعبقرية هي ابن الملك الثرى وتابعها اليقظ هو الغلام الفقير ، والفن والعلم قد يختلف طريقاهما ولكنهما في النهاية يلتقيان في ضوء الحماسة والاخلاص المقدس في روح الطبيعة العام، وهكذا أقاصيص هانس كريستيان واندرسن تروق الصغار وتسليهم وتعجب الكبار لأنها ثمرة التجربة وتناج الحكمة وثمره الشاعرية الحقّة والخيال الصادق .

على أدهم